صيرورة استراتيجيات الترجمة في العالم العربي
من النسخ التابع إلى النسق المستقل

محمد الأمين بحري*

تتعلق إشكالية الاتصال بين الطرفين المتحاورين من حضارتين مختلفتين (العربية و الغربية في عينتنا) بنصوص هذا الحوار التي تعرف ولادتها الأولى هناك و ولادتها الثانية هنا. غير أن سؤالنا لا يتجه إلى الأسباب بقد ما يتجه إلى النتائج و الأهداف من هذه العملية في كليتها.

- فما هو هدف المترجم في هذه الظروف التي فرضت الترجمة كضرورة حضارية.

- هل هو الوفاء بمقاصد المؤلف؟ و بالتالي الدخول تحت الهيمنة و التبعية للآخر فتصبح ترجمة استنساخية من أجل المؤلف؟

- أم هل عليه أن يحرر عقله و يتخلص من وصاية النص الأصل و صاحبه التي يفترض فيه التقيد بها ليقوم بعملية علمية استكشافية ترى النص الأصل من الخارج بغية معرفته و عرض مضمونه دون التزام بوصايا مؤلفه. فنكون بصدد استكشاف و ليس استنساخ. و ندخل بالتالي في عملية ترجمة من أجل القارئ.

- فأي السبيلين(الترجمة من أجل المؤلف"استنساخ"أو الترجمة من أجل القارئ "استكشاف")هو سائر في العالم العربي؟ و ما هي السبل الأخرى الموجودة على الساحة؟

---

*جامعة محمد خيضر، بسكرة

– و أي الصيغ الحوارية أنسب لاستقبال الآخر في عصر العولمة، أهو الوفاء للآخر أم الوفاء للأنا؟ لغة التبعية أم لغة الاستقلال ؟

و من أجل الإجابة عن هذه الأسئلة يفترض أن نبدأ مشروعنا من خلفياته الفلسفية و الإبستيمولوجية قبل التطرق إلى الأبعاد العلمية و المنهجية، و الغايات الوظيفية المتوخاة منه.

إشكالية التبعية في الترجمة– مقاربة إبستيمولوجية نقدية.

تقوم مقاربتنا– التي تهتم بجهود تحيين العملية الترجمية – على إعادة النظر في الصيغ التقليدية و تصوراتها و أنماطها المعرفية السائدة و نقدها، آخذين بآراء المفكرين في هذا المجال ممن حاولوا تجديد المسار الترجمي و انتقاد هنَّات سيرورته التقليدية كيمَ يتسنى لنا في خطوة لاحقة تأسيس بدائله الابستيمولوجية عن كل نقطة تم انتقادها أو نقضها، و من ثَم بعثها في روح تواكب متغيرات هذا العصر و تحولاته.

و إن بدت الطرائق التقليدية في الترجمة قاصرة عن استيعاب مقولات العصر في بعض الأحيان فهذا لا يمس بحال من الأحوال بمصداقية منظريها و مطبقيها في شيء بقدر ما يعزى إلى تعقد و تشعب مسائل عصرنا، و تكوثر مستجداته و نوازله الطارئة التي تدفع بالترجمة في كل يوم إلى إعادة النظر في مقولاتها و نظرياتها و كذا حقول تطبيقها و صيغ خطابها باعتبارها منعكساً للترائي و حقلاً للتبادل المعرفي بين الأنا و الآخر اللذان لا يكفان لحظة واحدة عن الحراك و المناوشة و المناورة، ما يحتم مواكبة هذه الدينامية التداولية و التبادلية بالصيغ التي تحفظ التوازن بين الكفتين المتأرجحتين.

و إذا كان التعامل بين الأنا و الآخر يقوم أساساً على التواصل اللغوي فإن تحيين هذا التواصل لا يستقيم إلا بتحيين عملية الترجمة كإطار فاهم و مفسر للعلامات اللغوية الصادرة و الواردة بين الطرفين.

و لا بد لهذه العملية من ترشيد و تكييف يومي(une mise à jours) من أجل سلامة الرسائل المتناقلة بين الطرفين بكل ما تحمل من حيثيات و ملابسات الخطاب الذي يريد كل

طرف تبليغه للآخر. فما هي السبل المثلى للوفاء بهذه البلاغة التي ترضي الطرفين و تصون مختلف أبعاد خطابهما المنشود.

على ضوء هذا العلم الجديد و المتجدد (علم الترجمة– La traductologie) "أهملت الترجمة بصورة كلية تقريباً و نهائية ذلك التصور الذي يجعل من هذا التطبيق، بحثاً و تحقيقاً لذلك التطابق "السهل"، "البريء" بين "شكلين" أو حضورين مختلفين بنفس المحتوى. لأن هذا المحتوى نفسه الذي نود نقله هو الذي يمثل إشكالاً اليوم: ماذا ننقل؟ عن ماذا نبحث بالتحديد حينما نترجم؟ "[1].

و إذا كان هذا السؤال يلخص الإشكالية الحالية للترجمة لدى المنظرين و المطبقين و البيداغوجيين على حدٍ سواء فإنه يتوخى من خلال الإجابة عنه الوفاء بالرسالة المنقولة بين الطرفين.

فإذا كان مفهوم الوفاء متجها بصورة حصرية لنص المؤلف فإننا سنكون بصدد ترجمة من أجله و هذا ما بات يسمى بالترجمة من أجل المؤلف (Une traduction pour l'auteur).

و هذا من الوجهة التقنية يتطلب استهدافاً لنوعية اللغة التي تصدر عنه و بالتالي لنوعية النص و سينعكس كلاهما حتماً على نوعية الخطاب. و هنا ترانا سنبتعد شيئاً فشيئاً عن مهمة الانتقال من لغة طبيعية(لغة المفاهيم العامة كما يتم فهمها لدى أمة من الأمم) إلى أخرى إلى ما يسمى الانتقال من لغة صناعية إلى أخرى(لغة المفاهيم التقنية الخاصة بتيار، اتجاه، مدرسة، محددة لدى الفئة التي تتبناها)[2].

" فكل نص مكتوب من طرف إنسان في لغة طبيعية يظهر في صورة "كتابة" متفردة و متميزة، "أسلوب" (و هو أسلوب الإنسان الذي أنتجه)، و هذا أحد المكاسب المهمة للعلوم الحديثة للغة و الأدب، ومن هنا يتبين كل عمق و تعقد و صعوبة العملية الترجمية"[3]. حينما نود ***الانتقال بالنص*** من لغة إلى أخرى[4].

و كأننا في هذا الانتقال نخرج من عملية الترجمة الحقيقية إلى حقل آخر تقني "حينما يتعلق الأمر باللغات الصناعية التي يتم تصورها كرموز محددة بصرامة و دقة، فتتحول الترجمة إلى تقنية

بسيطة لقلب العلامات، و هنا علينا أن نكف عن تسميتها بالترجمة و نبحث لها عن تسمية أخرى"[5]. تناسب التحيز الضيق و المحصور للتخصص التقني و الدقيق في اللغة الصناعية المتخصصة التي جاءت منها و تقصد إليها.

و تجدر الإشارة إلى تلك المعيارية الملحوظة التي تسود الترجمة الوفية لنص المؤلف التي تقرها نظرية التكافؤ التي تقول في صياغاتها المتعددة و بصورة تقريرية على ألسنة روادها:

– لا بد أن توفر الترجمة في اللغة المستقبلة أقرب تكافؤ طبيعي من الرسالة الموجودة في لغة المصدر، أولاً في المعنى و ثانياً في الأسلوب[6].

– الترجمة هي استبدال مادة نصية في لغة ما (لغة المصدر) بمادة نصية متطابقة في لغة أخرى (لغة الترجمة)[7].

– الترجمة هي تحويل نص لغة مصدر إلى نص مكافئ بلغة الترجمة[8].

– مكافئ الترجمة النصية هو أي شكل في لغة الهدف (نص أو جزء من نص) ينظر إليه مساوياً أو مكافئاً لشكل (أو نص أو جزء من النص) في لغة المصدر[9].

و يمكن لهذه القيود أن تربط – عن طرق هدفها الشكلاني (التكافؤ)– المترجم بقيود النص الأصل و مؤلفه، و أن تخضعه للعلاقات النصية و كذا " للمعايير التي يعبر عنها و المضمنة فيه، و التي تستمد مادتها من أدب المصدر و لغة المصدر. و بالتالي لا بد أن يؤثر هذا المعيار في الموقف الشمولي للمترجم في تصديه لترجمة نص معين(أو يؤثر حتى في أسلوبه و الترجمة برمتها)"[10].

ما من شأنه أن يضحي بالأدبية و بالأبنية العميقة و ما يتصل بها من متخيل و رمزية و رؤى فنية و جمالية، فـ" ارتكاز الترجمة على المدلولات و المضامين بالدرجة الأولى حوَّل النصوص الأدبية إلى مجرد وثائق تاريخية أو اجتماعية و إيثنوغرافية مجردة من كل أدبية. ذلك أن اهتمام

الترجمة بالنص الظاهري (Le phénotexte)، حسب تعبير كريستيفا، كان على حساب النص العميق (Le génotexte) "[11].

و هذا أكبر انحراف للعملية الترجمية بأسرها حينما يلجأ المترجم إلى محاكاة بناء و تراكيب العبارات في النص المصدر منخدعاً بوهم ترجمة الأسلوب إذ " ليس هدف الترجمة أن يشعر القارئ أنه يقرأ نصاً أجنبياً، بل العكس هو الصحيح، فترجمة الأسلوب معناها الاحتفاظ بروح النص من وجهة نظر اللغة الهدف و هذه الروح هي ما نسميه أحياناً بالنغمة "[12]. أي تناغم المحتوى الأجنبي مع سياق تلقيه في البيئة التي يفد إليها و تكيفه نصاً و خطاباً مع جمهوره الجديد.

و بعد أن تأكد بطلان الطرح المصدري الكلي للترجمة من خلال نقده أو بالأحرى نقضه، نتجه الآن إلى مقاربة تأسيسة تقوم على نتائج هذا النقد.

من التبعية إلى الاستقلال – مقاربة التأسيس– أطروحة طه عبد الرحمن.

نتوخى في هذا الطرح أن نؤسس – من خلال آراء المنظرين الحداثيين لرؤية مستقبلية متوافقة مع سنن العصر و تحولاته التي ستنعكس لا محالة على الترجمة و طرائقها. و سنتعرض في هذا الصدد لأطروحة المفكر العربي طه عبد الرحمن التي نراها مناسبة لتجديد مسار العملية الترجمية و فلسفتها.

1. غائية العملية الترجيمة

لا يمكن أن تستقيم أية عملية ترجمية مهما كان منهجها، و أياً كان واضعها من دون أن تتأسس على هدف أول محدد و مخصوص، و علينا أن نلغي من جملة الأهداف المرجوة من الترجمة ذلك الهدف الباهت الذي صار مع مرور الزمن هزيلاً و مبتذلاً و هو الوفاء بما أراد المؤلف قوله، أو سعى إلى تبليغه. لأن هذا الهدف قد صار نافلة و سقط متاع لكونه قائم في ذهن كل مترجم و لا يمكن أن تتم الترجمة من دونه. و يكمن سبب ابتذاله في بداهته و سطحية التعرض أو الإشارة إليه.

2. محاذير العملية الترجمية

و أول محاذير الاستهداف التي يجب تلافيها و إبطال مفعولها لدى المترجمين المبتدئين أو المتعلمين على حدٍ سواء هو: " بطلان القول بمبدأ < الترجمة المقيدة بلغة المؤلف> أو ما يسمى ب <الترجمة المصدرية > ذلك أن الترجمة المقيدة بلغة المؤلف تنزل منزلة الترجمة ***من أجل المؤلف*** لا ***من أجل المتلقي***، و في هذا تعارض مع مقتضى الترجمة "(13).

أما الأمر الثاني الذي يجب التحرز منه هو محذار السقوط في الترجمة الاستنساخية بواسطة ***لغة المؤلف*** بحيث يدخل المترجم تحت وصاية صاحب النص ينسب إليه كل ما يلفيه أمامه من مادة دونما تحمل لأية مسؤولية، أو تحري دوافع و غايات و مقاصد النص، المحمولة إلى القارئ بواسطة الكتابة. أي أنه يلقي بكل المسؤولية على عاتق المؤلف، "مكتفياً بنقل طريقة هذا الأخير في استقلاله عن النص أو النصوص السابقة على نصه"(14).

و هذا ما من شأنه أن ينسف قيمة النص، و قيمة صاحب النص و كذا صاحب الترجمة معاً لدى القارئ، و عادة ما تؤدي هذه الطريقة الشوهاء إلى تفطن القارئ إلى سوء الترجمة و عدم وفائها بالقيمة الاستكشافية المنوطة بالعملية الترجمية في الأصل.

أطروحة الاستقلال الترجمي– مقاربة التجنيس

1. الترجمة بين إلزامية التأثير و هدفية النظر – مقارنة لأطروحتي أورجين نايدا و طه عبد الرحمن.

لا نغادر مقصدية الترجمة و هدفيتها إذا ما أردنا التقدم بعمليتها التواصلية و التداولية الفريدة، إذ نواصل بعدما أكدنا فيمَ سبق نافلة القول باستهداف "مقاصد كلام المؤلف" و ابتذاله كهدف، تقديم البديل الذي يطرحه طه عبد الرحمن الذي يقترح بأن يكون هدف المترجم من ترجمته " يضاهي الهدف الذي يتوخاه المؤلف من تأليفه و يناظره؛ و لا يخفى أن هدف المؤلف هو أصلاً التأثير بوجه من الوجوه في المتلقي الذي يتكلم بلغته و يشاركه في مجاله التداولي، فكذلك ينبغي للمترجم أن يقصد التأثير بوجه ما في المتلقي الناطق بلسانه و المشارك له في مجاله"(15).

و الملحوظ أن أطروحة طه عبد الرحمن تتأسس على نقد ضمني لأطروحة عالم الترجمة الكندي أورجين نايدا Eugene Nida(رئيس مؤسسة ترجمة الكتاب المقدس بالولايات المتحدة) الذي سبقه للإعلان في نظرية التكافؤ السابقة بوجوب توفر النص المترجم على درجة التأثير نفسها التي يحملها المؤلف في النص الأصل نحو قارئه باللغة الأصلية . فيتحول وجوب التأثير لدى نايدا إلى غائية و استهداف لدى طه عبد الرحمن لأن في الاستهداف اجتهاد و تمحيص و صهر للمادة، و نظر لكل الملابسات. على عكس الطابع الإلزامي لنظرية نايدا الذي يمكن أن نلخص مقولته في عبارة "المترجم يؤثر إذن المترجم موجود" دون بحث في الكيفيات، و كأن الرجل يكتفي بقوة الغاية لتكون مبررة بكل الوسائل ينصها الطابع الديكارتي لنظرية التكافؤ التي لا تحمل أي بعد رمزي أو إشاري . مكتفية بترهين التأثير الترجمي غاية و وسيلة معاً.

بينما تحول أطروحة طه عبد الرحمن المسار الإلزامي لنظرية التكافؤ **النايدية** (تبعاً لرائدها أورجين نايدا) عن مسارها الديكارتي إن لم نقل قلبها نهائياً في حصر الجهد في مرحلة أولى في صيغة رمزية للاستهداف لتتلوه عملية النظر في آليات التأثير الذي يبقى غاية متجددة الآليات كما سنقف عليه بعد قليل. لنلخص مقولة المترجم لدى طه عبد الرحمن في عبارته المشهورة : "أنا أنظر إذن أنا موجود" مع ما تحمله كلمة نظر من تأمل و تدبر من شأنهما أن يصهرا النص الأصل كمادة أولية في قالب الثقافة و الحضارة التي يقصد إليها و التي ينقله إليها مترجم ناظر (و النظر مقولة كبرى لها امتدادات فلسفية و أبعاد صوفية ليس هذا مقام التعرض لها و إنما سنكتفي هنا بقيمتي الفهم و التفسير و هما كفايتان لازمتان لعملية الإنجاز الترجمي سواء على المستوى السطحي أو العميق).

الشيء الذي يتطلب من المترجم بحثاً آخر في أسلوب الكاتب و التعرف على الإمكانات التي منحها الكاتب لقارئه المباشر (أي باللغة الأصلية للنص) ، و بالتالي الاستفادة منها لإعطاء إمكانات قد تكون مشابهة لتلك التي منحها كاتب النص"[16]. و هذا ما يطلق عليه طه عبد الرحمن بالترجمة الاستكشافية التي لا تتيسر إلا بتحرير عقل المترجم كمتلقٍ أول للخطاب، ثم عقل القارئ كمتلق ثانٍ.

و لا يتأتى ذلك للمترجم " إلا إذا أثبت هو نفسه أنه قادر على أن يتحرر من وصاية النص الأصلي التي يفترض أنه يقع تحتها. و علامة تحرره هي أن يأتي بترجمته لا على مقتضى استنساخ الأصل بواسطة لغته، كما جرت العادة، و إنما على مقتضى ما نسميه بـ< استكشاف الأصل> أي أن تكون ترجمة استكشافية لا استنساخية."[17].

و إذا كنا قد عرفنا هنّات الترجمة الاستنساخية التي يتبع فيها المترجم مؤلفه تبعية مطلقة تجعله مستنسخاً سلبياً. لا مسؤولية لديه على ما يكتب. فإننا سنعرض في هذه الزاوية إلى ما يقصده طه عبد الرحمن من خلال مصطلح الترجمة الاستكشافية.

2. من الترجمة الاستنساخية إلى الترجمة الاستكشافية

أ. مقومات الترجمة الاستكشافية

يقول طه عبد الرحمن في تحريره لمصطلحه " الترجمة الاستكشافية": " ليس المقصود بالترجمة الاستكشافية –كما يسبق إلى الذهن – الترجمة التي تتطلع إلى نقل الطرق التي توصل بها المؤلف إلى وضع نصه، و إنما هي الترجمة التي تتطلع إلى نقل هذه الطرق على الوجه الذي يوصل المتلقي إلى وضع نص يضاهي نص المؤلف"[18].

و هذا يعني أن المترجم الاستكشافي ينظر إلى النص الأصلي أساساً بعين المتلقي، ناقلاً له – بطريق يجعل المتلقي قادراً على أن يستوعب– القوة الإبداعية التي أنشأه بها المؤلف، و على أن يتهيأ لأن يمتلك هو بدوره هذه القوة. أو قل باختصار أن الترجمة الاستكشافية هي الترجمة التي تكشف للمتلقي طرق إبداع نظير أو نظائر للنص الأصلي"[19]. و هي لعمري غاية يكابد فيها المترجم ما يكابده المؤلف من هموم.

و بما أن الحديث متشعب في أعماق فلسفة التداول الترجمي و طرائقه فإننا ارتاينا أن نقوم بخطاطة ترتسم فيها عناصر و مقومات طرائق الترجمة الاستكشافية بحيث يقسم الباحث كل نص إلى ركنين أساسيين:

- **ركن الاستشكالات**: لا بد لكل نص فكري أن يكون استشكالياً، أي يثير جملة من الأسئلة.
- **ركن الاستدلالات**: لا بد لكل نص فكري أن يتوسل بجملة من الأدلة التي يثبت بها أطروحته.

و كل ركن من هذين الركنين يتكون من ثلاثة مستويات على الأقل هي:

أ- المستوى المنطقي/ ب- المستوى الدلالي / ج- المستوى التركيبي، كما يلي:

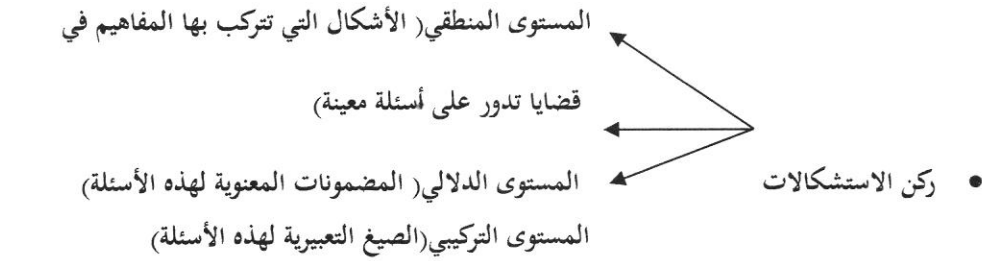

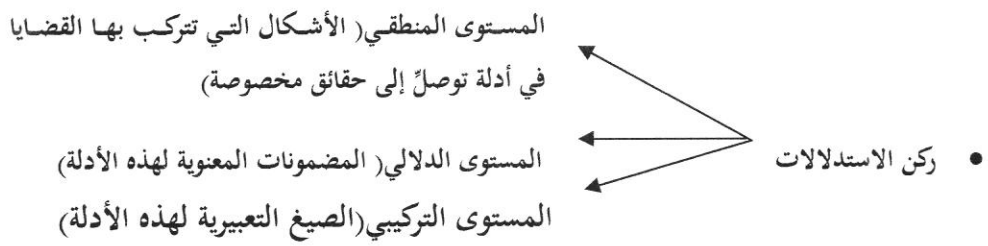

فإذا كنا لا نتوقع بداهة أن يخلو أي نص أدبي من هذين الكنين الجوهريين، كما لا يمكن أن يخلو من أي مستوى من تلك المستويات الثلاث التي يقوم عليها كل ركن، فإن على المترجم أن يقدم بين يدي قارئه (قارئ النص المترجم) الطرق التي يمكن بواسطتها أن يبدع نظير أو نظائر لكل واحد من هذه المستويات الثلاث التي يشتمل عليها كل ركن سواء الاستشكالي أو الاستدلالي.

و الملحوظ في هذه الطريقة هو اعترافها بأن مهمة الوفاء بكل هذه النظائر و تناقلها بين اللغتين تبدو ضرباً من المحال.

إذ لو وفّى المترجم بمستوى فقد يعوزه الفاء بالآخرين، فضلاً عن التغيرات التي ستطرأ عليها جراء اختلاف بنيات و أساليب و تراكيب اللغتين (لغة المصدر و لغة الهدف)

لكن قد يسعفه مع هذا العوز و الاستحالة حل واحد و هو تقديم ترجمة قادرة على إنارة النص المنقول بقوة إبداعية نظيرة للقوة الإبداعية المبثوثة في النص الأصل. و هذه إحدى مكاسب و ثمار الاستقلال و التحرر الوظيفي و الخلاق للعملية الترجمية.

و هناك حل مختلف و لكنه نوعي و متخصص و دقيق على نحو خاص قد يتطلب أكثر من مترجم. أو أكثر من ترجمة بالأحرى؛ و هو " أن توضع للأصل ترجمات بعدد هذه المستويات، كل ترجمة تبرز واحدة من القوى الإبداعية للنص الأصلي"[20] و بالتالي تصبح لدينا تبعاً لهذا التقسيم ثلاثة أنواع متفرعة عن الترجمة الاستكشافية ينفرد كل نوع بركن من أركان النص فتكون لدينا:

– ***ترجمة منطقية***: و مهمتها نقل البنى العقلية التي تحمل المحتوى الفكري و تشكله أمام القارئ على أن تشتمل هذه البنى على مجموعتين من الخطابات : **الأولى مجموعة الأسئلة** التي جاء هذا النص ليتطارحها و يقارب الإجابة عنها، و **الثانية مجموعة الأدلة** التي يثبت بها صحة أجاباتـــه، ثم إن النص في مستواه الفكري لا يتعلق بشيء مثل تعلقه بهذه الأسئلة و هذه الأجوبة.

– ***ترجمة دلالية*** : و تشتمل على البنى المعنوية التي حملت البنى المنطقية في النص الأصلي إجاباتها فإذا كانت الأولى إجابة عن سؤال الماهية (ماذا؟) فإن هذه الترجمة تطرح سؤال الكيفية(كيف؟) و ما تتطلبه من أساليب و معايير للخطاب. و تشتمل هذه الترجمة على مجموعتين هي الأخرى (مجموعة المدلولات الاصطلاحية و اللغوية) و (مجموعة القيم و المثل العليا المنشودة). و ما على المترجم إلا أن يحتال أو يحتار في نقل هذه المدلولات الكيفية.

– ***ترجمة تركيبية***: و تختص بنق البنى النحوية و الصرفية التي صيغت بها البنى الدلالية و تشتمل بدورها على مجموعتين فرعيتين: (مجموعة الصيغ المفردة) و (مجموعة العبارات المركبة) و هذا النوع من الترجمة يفرض على المترجم في نقله للصيغ و العبارات نوعاً من التمسك بـ "الحرفية التركيبية، و قد تحمل هذه الحرفية المترجم على أن يورد في نقله تراكيب مضطربة و عبارات ركيكة لا تستقيم على قواعد اللسان العربي"[21].

و هي محاذير مشهورة و معروفة إن لم نقل لا بد منها لكل ترجمة، فالوفاء بالكليات لا يسلم من خيانة الجزئيات. و هي خيانة محبذة إذا حملت ذلك الإبداع و الإشعاعية و القوة المعنوية التي يحملها الأصل الأول. ليعيد الأصل الثاني (النص المترجم) بعثها بروح مخالفة نوعياً لكنها مكافئة في القوة و الإبداع معنويا.

إشكالية الاستقلال في الترجمة– مقاربة صورولوجية.

حينما تصبح الاستقلالية إشكالاً صورولوجياً في الطرح الترجمي للغة الآخر، في مجال الأدب المقارن بخاصة، فإن الظاهر قبل كل شيء هو وجود علاقة صراعية بين طرفين مختلفين. و لا شك أن المترجم في هذه الحال سيلعب دور الوسيط الممهد و المخفف من حدة الصدام ليحوله إلى حوار بنّاء بين طرفين لا يعرفان لغتي بعضهما بل يحمل كلاهما صورة أقل أو أكثر قتامة و تعقيداً عن الآخر.

فالعلاقة صراعية، و الصورة معقدة لكونها غامضة. و هي قاتمة، فقط لأن أحد الطرفين يتكلم لغة لا يفهمها الآخر، و هذا كاف لأن يتوجس كل طرف من الآخر، فتكون الصورة القاتمة التي يشكلها له في مخياله أسبق إلى الارتسام من الصورة النيرة. و في هذا الصدد يقول تزفيتان تودوروف:" كل شخص هو بربري الآخر، و يكفي كي يكون بالنسبة له في هذه الصورة البربرية أن يتحدث بلغة لا يفهمها هذا الآخر، فهي ليست سوى كركرة في أذنيه"[22].

و بطبيعة الحال يتوجب على الإنسان أن " يستمع إلى ((لغة)) بالمعنى المجازي للكلمة كي يتمكن من فهم كل ما يحمله ذلك الفكر "[23] الآخري.

و هنا ندخل إلى مفهوم الصورة التي تتعرف بكونها" تمثّل، بمعنى أنها نوع من التصور الذهني، رؤية أو تصور الآخر (أو الذات)، أما كون هذه الصورة صحيحة أو خاطئة فهذا إشكال آخر بعيد عن أطروحتنا. نعود فنقول بأن هذه الصورة حاملة- ضمنياً أو افتراضيا- لأحكام فعل حول الآخر (أو حول الذات نفسها) التي تقول بها المعرفة (الصحيحة أو الخاطئة) التي نحملها بشأنه"[24].

و هذا يعني أن العلاقة بالآخر، من حيث هي استقلال عنه، هي علاقة اختلاف تمليها الهوية، بمعنى أن الهوية (هوية الأنا) هي التي تحدد كينونة الاختلاف (الاختلاف مع الآخر) حتى في أشد حالات ميوعة الهوية، التي نجدها مقسمة وفق نظرية الفيلسوف طه عبد الرحمن إلى أقسام ثلاث بحسب نظرتها للذات و للآخر كما يلي:

1. **الهوية الصماء:**

و تتولد من النظر إلى الذات بعين الذات، و النظر على الغير بعين الذات أيضا و الهوية الصماء(أو قل الهوية الصلبة) قد تكون هوية منغلقة أو هوية متسلطة أو هوية مستغنية بنفسها.

2. **الهوية اللينة:**

و تتولد من النظر إلى الذات بعين الغير و العكس أيضاً، أي النظر إلى الغير بعين الذات. و الهوية اللينة(أو قل الهوية الرطبة) قد تكون هوية منفتحة أو هوية غير متسلطة أو مفتقرة إلى غيرها.

3. **الهوية المائعة:**

و تتولد من النظر إلى الذات بعين الغير و النظر إلى الغير بعين الغير كذلك. و الهوية المائعة (أو قل الهوية السائلة) قد تكون هوية مغتربة أو هوية قلقة أو هوية تائهة[25].

و الملحوظ في أفق الترائي بين الذات و الأخر الذي تتقاسمه و تطبعه أنواع الهوية هذه، بأنه أفق صراعي أساساً يغذيه حراك طرفين متنازعين في الرؤية(و قد يكون هذان الطرفان حاصلان في نظرة الذات إلى نفسها) و هذا ما تمليه نظرة بسيطة إلى الذات تكون لزاماً متأثرة في بلورتها بالنظرة إلى الآخر، كما أن هذه الأخيرة(النظرة إلى الآخر) لا تستوي و لا تكتمل إلا من خلال النظرة إلى الذات السابقة عليها بقدر أكبر أو أقل من الاعتبار. و ما على الترجمة في الحالين إلا تحيين نصوص التواصل الاستكشافي بين طرفي الحوار.

و دون شك فإن ارتباطها و تبعيتها لأحدهما سوف يخرب النظام التواصلي الحضاري بأسره، بينما كل ما كان المترجم أكثر حرية و استقلالاً في هذه الجهة أو في الجهة الأخرى من ولادة النص كلما كان هو صاحب الولادة الطبيعية الثانية و المبدعة للنص الذي لن يكون وليداً لهذه الضفة دون الأخرى، بل بالأحرى هو وليد شرعي لتزاوج خلاق بين الضفتين يولد من رحم الترجمة في عصر العولمة حواراً أو صراعاً أو تلاقحاً بين حضاراتها.

تحيين ترجمة العلوم الإنسانية كولادة ثانية في العالم العربي–أطروحة بختي بن عودة

لما كانت العلوم الإنسانية حقل يحتفل بالسؤال إن لم نقل بأن مجاله الدراسي هو علم السؤال، فقد بات السؤال دلالتها الفارقة التي تصنع مختلف مفاهيمها و تراكيبها التي خولتها الاتصاف بالثراء من قبل روادها و ناقديها، و كما سمحت هذه الثراءات لمفهوم العلوم الإنسانية بالاتساع و التجلي، فمن شأنها أن تقوده بصورة عكسية إلى الاندثار و التلاشي أيضاً[26]. لأن هذا المفهوم المتسائل للعلوم الإنسانية غدا يوماً بعد يوم مفهوماً حائراً " لا يملك إلا أن يتشتت. و من هنا فإن مفهوم العلوم الإنسانية لا يتحدد بقدرتها على الإحالة إلى مرجعيات نظرية أخرى، و لكن بما تمتلكه من حجم الإشكالية الخاصة بالذات" [27] و هذا ما يفاقم معضلات بلورة نسق كفيل بنقل خطابها إلى الآخر، و استصاغتها لخطاب الآخر في آن معاً.

و في هذا السياق لم يعد من مجال للتفكير أو حتى الاطمئنان لفكرة أن الترجمة هي مجرد مسألة تقنية كما ينظر لها البعض ممن أرادوا تبسيطها إلى آليات و مناهج تقنية. بل إنها عكس

ذلك تماماً – حسب المفكر بختي بن عودة – " تفرض نسقاً قادراً على تلقي ما يترجم، و شروط استضافة (استقبال) تتجاوز الإمكانيات المتاحة حالياً و معرفياً"[28] في الوطن العربي الذي تاه فيه مفهوم العلم (و العلوم الإنسانية بخاصة) بين النداءين السياسي و المعرفي.[29].

و هذا الوضع يجعل من الإشكال الإيديولوجي إشكالاً ثقافياً يطالب بالإحاطة المعرفية من طرف المترجم الذي يفترض أن يخرج به من إطار التبعية إلى إطار الاستقلال الذي لا يستمد فيه النص المترجم اكتمال معناه من المنظومة الداخلية للنص المصدر فحسب و لا من تحويره كلياً مع منظومة القيم السائدة في البيئة التي يحل فيها بقد ما سينصب اهتمام المترجم على بلورة ذلك النسق المستقل المنشود القادر على استضافة كل مشمولات النص المصدر (الثقافية و المعرفية) بآلية تستوعب مختلف ملابسات التلقي في البيئة المستقبلة.

فمتى اكتمل هذا التصور في ذهن المترجم بتكوين هكذا نسق ترجمي (حسب مقاربة بختي بن عودة في الهامش رقم28 أعلاه)، و توافرت ***مقومات الاستقلال و التحرر من أية تبعية أو دوغمائية لأي طرف***، مع الإحاطة بالغايات المعرفية التي توخاها المؤلف من وراء نصه(حسب مقاربة طه عبد الرحمن) واسترزاعها و تبيئها بحسب المنظومة الثقافية و المعرفية لحقل التلقي، خرجنا من الصورة البربرية التي طالما تشكلت بين الذات و الآخر و طبعت بالتوتر علاقتهما(على حد تعبير تودوروف)، و يمكن العثور بهذا التصور على النسق الترجمي المنشود متى تحققت القراءة السوية للمترجِم، التي ستكون حقلاً خصباً لنمو جنيني طبيعي لنص مترجَم يضمن الحد الأدنى لتأسيس حوار حضاري و ثقافي بين الذات و الآخر دون أن يكف – باعتباره نصاً حداثياً على الدوام – عن مطالبتنا بتحيين خطابه و ترهين بنياته و مناهجه، بمزيد من الإصغاء و المتابعة لكل صوت حداثي جديد تصدره رحى العولمة الدائبة الدوران.

الإحالات

[(1)]–ELFOUL Lantri. *Traductologie, Littérature comparée - Etudes et Essais,* Casbah, Alger,, 2006. p. 29.

[(2)]– Pour approfondir le sens, voir: Langue naturelle et langue artificielle, Idem, p. 36.

[(3)]– Idem, p 31.

[(4)] – نقول هنا الانتقال بالنص بدل نقل النص لأن الانتقال بالنص يفترض أن يرافقه شخص المترجم، الذي يرتحل بالنص الأصل و بكل ما يحمله هذا الأخير من ثقافة و حضارة و إيديولوجيا و تاريخ، إلى أمة تحمل مقومات حضارية و ثقافية و إيديولوجية و تاريخية مختلفة في لغة الهدف.

[(5)]– ELFOUL Lantri. op.cit., p 36, (la marge).

[(6)]– Nida Eugene. A, *Principals of Translation exemplified Bible translating* in Brower , p. 119.

[(7)]– Catford. J.C, *Linguistic Theory of Translation. An Essay in Applied Linguistics*, Oxford University Press, Londres, 1965, p. 70.

[(8)]– Neubert Albrecht, *Elements Uner allgenein trearieder Translation,* p. 82.

نقلاً عن أحمد حماد. الترجمة الأدبية بين قيود النص و حرية الإبداع، *مجلة عالم الفكر*، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد الرابع المجلد30 أبريل يونيو، 2002، ص 250.

[(9)] – كاتفورد: *نظرية لغوية في الترجمة* . ترجمة خليفة العرابي و محي الدين حميدي . الهيئة القومية للبحث العلمي. معهد الإنماء العربي . بيروت- طرابلس الغرب، 1991. ص 1.

- و انظر هذه المقولات في المؤشر عليها في الهوامش: 6- 7- 8- 9. مجتمعة في مقال د/ أحمد حماد. الترجمة الأدبية بين قيود النص و حرية الإبداع، *مجلة فصول* م م، ص 250.

[(10)] - نفسه ص 250.

[(11)] – الطيب بودرباله. ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى اللغة العربية، ضمن أعمال ندوة الترجمة بعنوان" *أهمية الترجمة و شروط إحيائها*"، المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر، 2004، ص 121.

[(12)] – نفسه ص 244.

- و انظر للتوسع أكثر في مفهوم النغمة : محمد عناني: *الترجمة الأدبية بين النظرية و التطبي*، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1997، ص 41-42.

[(14)] – طه عبد الرحمن: *روح الحداثة- المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية*، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء المغرب. بيروت، الطبعة الأولى، 2006، ص 161.(الهامش)..

(15) ـ نفسه ص163.

(15) ـ نفسه ص 161.

(13) ـ محمد الأمين بحري: *دور المترجم بين تقنيات الترجمة و واجبات الحضارة*، ضمن أعمال ندوة الترجمة بعنوان "*أهمية الترجمة و شروط إحيائها*"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004، ص 447.

(17) ـ طه عبد الرحمن: *روح الحداثة- المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية*. م م ص 161.

(18) ـ نفسه ص 162.

(19) ـ نفسه ص 162.

(20) ـ نفسه ص 163.

(21) ـ انظر للتوسيع المرجع نفسه ص 165-167-168.

(22)_ TODOROV Tzvetan, *La Conquête de l'Amérique- La Question de l'autre,* le Seuil, Paris, 1982. p 196.

(23)- EL FOUL Lantri, *Traductologie Littérature comparée*, op cit., p. 97.

(24)- TODOROV Tzvetan, *Mikhaïl Bakhtine. Le principe dialogique*, Le Seuil, Paris, 1981. P. 06.

(25) ـ ينظر أصناف الهوية بهذا التفصيل لدى طه عبد الرحمن، *روح الحداثة- المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية* . م م . ص 157-158- في المتن و الهامش.

(26) بختي بن عودة: العلوم الإنسانية في الجزائر في فوضى الدال و نكوص المعنى، مجلة*التبيين*،عدد 10 1995 ص100.

(27) ـ ينظر عمر مهيبل: *من النسق إلى الذات- قراءة في الفكر الغربي المعاصر*، منشورات الاختلاف- الجزائر / الدار العربية للعلوم ناشرون. الطبعة الأولى، 2007،.ص 86..

(28) ـ نفسه ص 86.

(29) ـ بختي بن عودة المقال السابق في مجلة*التبيين*، ص 101.